آثار ترمسعيا

على ٣٧ كيلومتراً الى الشمال من القدس في الطريق الى نابلس بسيط من الارض الى يمين طريق العربات يمتد بضع كيلومترات من الغرب الى الشرق ولا يزيد عرضهُ على ٧٠٠ او ٨٠٠ متر . في وسط هذا السهل قرية يقال لها ترمسعيا على ربوة صخرية لا تعلو عما حولها الاَّ قليلاً . ولم يرد اسم هذه القرية في التوراة ولا في التاريخ انما يظن انها ترماسيا المذكورة في التلمود ولا دليل على ذلك الاَّ تشابه الاسمين في اللفظ . وليس في القرية شيء يستلفت النظر الاَّ بعض رضام قديمة حسنة المنداك الحكمت في جدران البيوت وبقية عتبة قديمة فوق باب المضافة وبعض قطع من اعمدة متكسرة . ولم يكن السياح يقفون فيها الاَّ قليلاً في طريقهم الى خرائب شيلوه (المعروفة بخربة سيلون) وهي على ربع ساعة منها الى الشمال

في غرة اكتوبر الماضي بلغ محمد رفعت افندي مدير المعارف في القدس ان البعض عثروا على ناووس وكثير من التماثيل في ترمسعيا فخف اليها وتحقق وجود هذه الآثار فيها . ولم يمضِ الاَّ ايام قليلة حتى تمكن وكيل دولة اميركا من اقناعه بان يؤلف لجنة ينضم اليها احد الاساتذة العارفين بالآثار القديمة من مدرسة سانت انياث لكي يتحقق امر هذه المكتشفات ويرى ما لها من القيمة العلمية . وهاك نتيجة اعمال هذه اللجنة ملخصة من تقريرها

على منحدر الربوة عند منتهى القرية الغربي بقايا اساس حائط لم يبقَ منهُ الاَّ ساف واحد من الحجارة المنحوتة يمتد من الشمال الى الجنوب ٦ امتار و٢٥ سنتيمتراً وعلوهُ ٦٥ سنتيمتراً . ويبلغ طول الحجر الواحد من متر و١٣ سنتيمتراً الى متر و٥٢ سنتيمتراً . وقد أُحكم وضعها على الصخر بعد ان نحت من الامام حتى اصبحت معهُ جداراً واحداً

وفي هذا الصخر كهف منعطف السقف على شكل قنطرة علوهُ عند المدخل ٩٠ سنتيمتراً وعرضهُ متران و٤٠ سنتيمتراً . وفيهِ قبر محفور في الصخر طولهُ متران و٣٠ سنتيمتراً وعرضهُ ٨٥ سنتيمتراً وعمقهُ ٥٥ سنتيمتراً (١)

وامام هذا الصخر على مسافة متر منهُ ناووس كبير من الرخام الابيض يوازي طولهُ خطًّا

(١) اخذ هذه النياسات فهدي افندي احد اعضاء مجلس الادارة في المقدس بالاشتراك مع محمد رفعت افندي وذلك بعد ذهابها الى القرية بايام قليلة

ممتداً من الشرق الى الغرب وقد طمر نصفهُ في التراب . ويبلغ طولهُ مترين و٤٥ سنتيمتراً وعرضهُ متراً و٣٠ سنتيمتراً وعلوهُ اكثر من متر . وهو سليم لم يصب باذى غير ان غطاءهُ قد حطم عمداً على ما يظهر طمعاً بجواهر الميت . ووجوههُ من الخارج ملساء ليس عليها شيء من النقوش وقد أتلف نحت احدها اكثر من الثلاثة الباقية لان النظر يقع عليهِ اكثر منها . اما من الداخل فلم تراعَ في حفرهِ قاعدة ولا نظام ومتوسط سمك جدرانهِ ١٢ سنتيمتراً . وغطاؤهُ مسنم ذو ضلعين وعلى كلٍّ من زواياهُ الاربع نتوء كما يرى في غيرهِ من النواويس الرومانية في فلسطين

ثم اقتادنا اهل القرية الى حفرة قريبة يقولون ان فيها تماثيل فكشفنا التراب قليلاً فاذا نحن بغطاء تاووس آخر عليهِ نقوش بديعة . وقد نقشت عليهِ صورة نعش عليهِ شخص اكبر من الحجم الطبيعي مستند على يسراهُ وذراعهُ اليمنى حول عنق شخص لا يظهر منهُ سوى اعلى صدرهِ فاستنتجنا من ذلك انها صورة رجل وزوجتهِ والمرجح انهُ كان على الزاوية المقابلة لوجههِ صورة ولد لهُ . وقد ذهب رأسا الشخصين وذراع من كل منهما . ورغماً عن ذلك لا يزال هذا الاثر من اجل الآثار التي وجدت في فلسطين حتى الآن

ورُفعت من الردم قطعة رخام تغطي النقوش وجهين منها فظننا انها زاوية تاووس وان وجهيها المنقوشين جدارا التاووس وعلوها متر وثلاثة سنتيمترات وعرضها ٧٠ سنتيمتراً ويظهر منها القسم الاكبر من احد الجدارين الاصغرين وعليهِ صورة طفل ذي جناحين قائم على قدميهِ يجني ثماراً وبالقرب منهُ شخص آخر لا يظهر منهُ الاَّ رأسهُ ويداهُ يجمع هذه الثمار في سل . ولم يبقَ من الجدار الآخر الاَّ قسم صغير لا يزيد اتساعهُ على ٥٠ سنتيمترا . وعليهِ نقوش وصور بارزة تكاد تفلت من التاووس وتمثل شاباً عارياً عليهِ ملاءة صغيرة قد عقد طرفاها على كتفهِ اليسرى وهو قائم على قدميهِ ويحيط برأسهِ اغصان فيها ثمار متنوعة ويتدلى وراء اذنهِ اليسرى عنقود من العنب . وبين ساقيهِ زورق صغير يشق عباب الامواج وفيهِ رجل جالس

ورأينا في الحفرة قطعة اخرى فعملنا على استخراجها وقد كان للمستر لويس الاميركي الفضل الاكبر في الكشف عنها واخراجها سليمة . ولدى التمعن فيها علمنا انها قطعة اخرى من التاووس المذكور آنفاً وعلوها مثل علو القطعة الاولى اي متر وثلاثة سنتيمترات ونقوش الاثنتين متلائمة وعليها من الجانب الواحد طفل بجنح يرقى سلما لاجل اجتناء الاثمار وعند

اسفل السلم سل مملوء بالاثمار وقد اقبل عليها رجل يرتبها . وعلى الوجه الآخر شاب قائم على قدميهِ يشبه الشاب الذي وصفناهُ على القطعة الاولى و بين رجليهِ امرأة تحمل قرنًا قد نبتت عليهِ الازهار والاثمار وفيهِ شخصان صغيران يجتنيانها وربما كانت الصور الفوتوغرافية التي اخذها المستر لويس ابلغ من القلم في وصف هذه النقوش

ويظهر ان النقوش على مقدم الناووس كانت تمثل المعبود باخوس على هيئات مختلفة . ولا شك في ان هذا الناووس من اجل الآثار القديمة ونقوشهُ من نوع الحفر الغائر وهي في غاية الاتقان وان كانت تنقصها بعض الامور دون الكمال . وقد افرغ الناحت جهدهُ في اتقان نحتها حتى تكاد تقرأ ما في نفوس الاشخاص الممثلة من مجرد النظر الى وجوههم . وهذا الاثر يمتاز على سائر الآثار التي وجدت في فلسطين وربما كان من صنع اليونان في القرن الثاني قبل الميلاد

وحبذا لو عجّل في نقل هذه الآثار الى متحف القدس حيث تكون في مأمن من عبث الايدي والطوارئ بها وتوسع البحث عن الاقسام الباقية من هذا الناووس لكي تكمل اجزاؤهُ وربما عثر معهُ على آثار اخرى ذات قيمة عظيمة . ولا شك في انهُ من بقايا مدفن فهم لم يبقَ منهُ الاَّ الحائط الذي ذكر في اول كلامنا وهذان الناووسان . ولا يبعد ان يكون في الردم كتابات تبين تاريخهُ واسماء من دفنوا فيهِ . وحبذا لو اتيح لهذا المكان من يرفع الردم منهُ ويحفر عما بقي فيهِ فان ذلك لا يستلزم عناء كثيراً

وبعد رجوعنا الى القدس اكتشف مدير المعارف وفهدي افندي عند احد المتاجرين بالعاديات قطعة من الرخام عليها نقوش وقد اتي بها من ترسيا ولا شك في انها من الناووس الذي وصفناهُ . وبعد ذلك بايام قليلة عادا الى المكان الاصلي واحتفرا قليلاً فاستخرجا قطعة اخرى منهُ

فحبذا لو جمعت هذه الآثار في القدس واعيد الحفر في ذلك المكان لتكمل اقسام ذلك الناووس . وانا نكرر نداءنا هذا باسم جميع المشتغلين بالآثار القديمة والمولعين بفنون القدماء وعسى ان لا يذهب تداؤنا عبثاً

الامضاء

ب . م . واف . سافينياك